الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 30-31) - 1997 - 1418

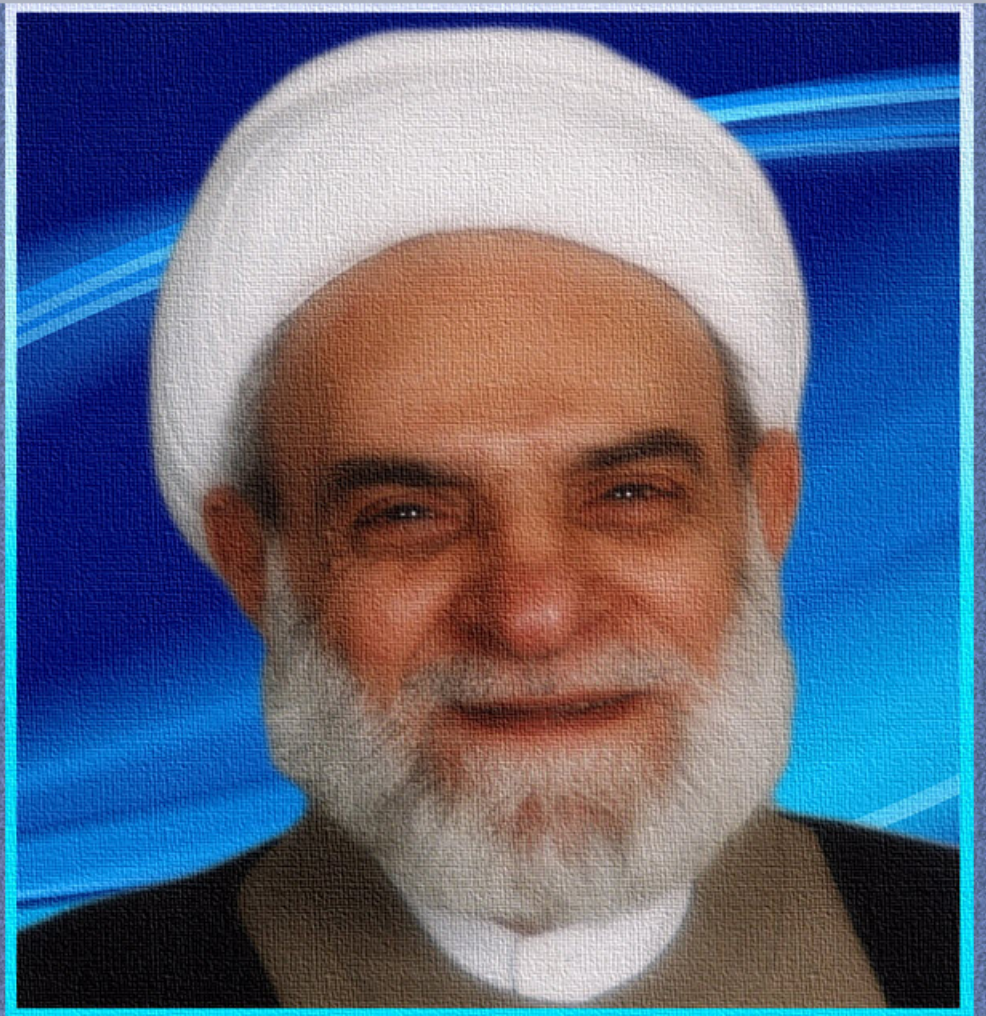

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

أكاديمية الكوفة

Shiabooks.net

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
FAX : 0031186616306

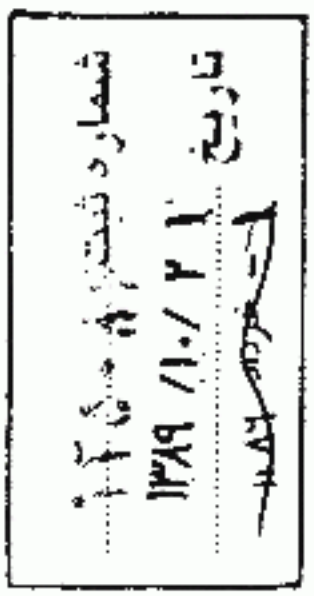

كلمة سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين في إفتتـــاح المؤتمر الأول للتبليغ ١٩٩٦/١/١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله المعصومين وصحبه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

أخي صاحب السماحة فالمقام مفتي الجمهورية اللبنانية الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني.

اخواني أصحاب السماحة والفضيلة وسائر العلماء الأجلاء السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

بسم الله نفتتح جميعاً في حضور ومشاركة صاحب السماحة مؤتمر التبليغ الأول الذي تعقده إدارة التبليغ الديني المشكلة من الهيئة الشرعية في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وبقرار مركزي من المجلس وفي الوقت نفسه نفتتح هذا المبنى المقر العام والرسمي للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بعد معاناة إستمرت سنوات كثيرة وعوائق كثيرة إلى جانب مقره العام الآخر في الحازمية الذي كان ولا يزال مقره إلى الآن.

نفتتح هذا المؤتمر في حضور قوي وفعال للإمام المغيب السيد موسى الصدر الذي هو حاضر بيننا بكل ما أنشأ، وما هو مستمر منه فكراً ورؤية. إنه نهج وانفتاح على المسؤوليات الكبار التي ينبغي أن نتحملها جميعاً...

إننا نتذكر في هذه المرحلة وفي هذه الساعة المباركة في محضركم جميعاً وسماحة المفتي قباني جميع سلفنا الصالح الذين توفاهم الله إليه ومثلوا ولا يزالون إحدى نعم الله علينا، والذين فكروا وجاهدوا وأسسوا مع وإلى جانب الإمام المصدر في أعضاء الهيئة الشرعية في هذا المجلس...

نتذكر من واكب مسيرته وفكرته وأهدافه ومهماته في المسلمين في لبنان والعالم، نتذكرهم أجمل الذكرى ونحن في هذا المكان ثمرة من ثمرات تضحياتهم وزهدهم وتحملهم للأذى في جنب الله وقوتهم ومناعتهم على كل تجريح وتشويه وتشكيك...

إن مؤتمر التبليغ الأول الذي نفتتحه في هذا اليوم، تأسيساً على المؤتمر التأسيسي الأول لمؤتمر التبليغ الديني الذي عقد قبل أشهر وانطلقت فيه هذه المؤسسة الجديدة من مؤسسات المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى واستكملت بعد إنطلاقها معظم بناها وتشكيلاتها وبدأت تنطلق في عملها على الأرض في لبنان وخارجه. إن هذا المؤتمر يعقد ليتبصر علماء الدين المبلغون في قضايا التبليغ ومهامه ومشاكله وآفاقه، وهي المهمة الأولى للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى التي لا تعلو أو تتقدم عليها مهمة أخرى لا في السياسة ولا في التنظيم.

فالمجلس إلى جانب دار الفتوى الإسلامية مؤسسة من مؤسسات المجتمع الأهلي يقدم للمسلمين الخدمات الدينية التي يفتقرون إليها ويتطلعون إليها في مجال تعميق العقيدة في نفوسهم وفي مجال العلاقات فيما بينهم، وتحصينهم في مواجهة الأفكار والإتجاهات المغايرة، إلى جانب التركيز على ما يهمهم جميعاً سواء أكان فيما بين الشيعة أنفسهم، أو بين المسلمين السنة في أنفسهم أو في ما بين هؤلاء وهؤلاء في رحاب الإسلام الكبير ودائرته إذن كما قلت هذه المهمة، أي التبليغ تتقدم على مهمات المجلس السياسية والتنظيمية وقد كان يقوم بها منذ أسس في ظروف حاكمة عليه واكبت نشوءه، قام بها منذ أنشىء ولكن هاجس التكيف مع متطلبات الزمان وتغير الأحوال، وكثرة التحديات التي تواجه المسلم فرداً وأسرة وجماعة في لبنان وخارجه تلح دائماً على المجلس ورئاسته وهيئته الشرعية. ولا شك أن هذا كان مجال تداول مع الإمام المصدر والكبار من سلفنا الصالح...

إن السؤال كان ولا يزال: كيف يكون العمل الديني وكيف يحتفظ بخصوصيته التاريخية التي ميزت نهج أهل البيت صلى الله عليهم وسلم؟ وكيف يستجيب لعروات التنظيم وتوزيع

المسؤوليات وتنوع الحقول؟ كان هذا التهاجس يسمو ويلح علينا في حالات كثيرة ولا أزال أذكر قضية عصفت بالمسلمين في لبنان قبل حوالي عشرين عاماً حين أطلق أحد الكتاب اليساريين كتاباً طعن فيه في صميم العقيدة والشريعة. وأتذكر أنه انبرى له كثيرون من علماء الدين والمشتغلين في الشؤون الدينية المخلصين والغيارى. ولكن ردودهم عليه كانت أسوأ من سكوتهم عليه وذلك كله إنما كان منهم ليس لأن الإخلاص ينقصهم أو المعرفة، ولكن لكل مشكلة معرفتها الخاصة، ولكل تحد إستجابته المعينة، ولكل معرفة حقلها الخاص.

وكان آخر ما واجهنا ـ كما تعلم جميعاً ـ قضية سلمان رشدي، وتسليمه تسريبي وهناك الكثير مما واجهه المسلمون في عقيدتهم وشريعتهم وفي أخلاقياتهم وفي علاقاتهم الداخلية أو في مواجهتهم لتحديات الخارج التي تتنوع من عيادة الطب النسائي التي تزورها الزوجات والأمهات أو الفتيات وما تطرح من قضايا في الجنس وغيره إلى ما يطرح من تحديات تتناول المعتقد في صميمه والشريعة في صميمها. كل ذلك يحتاج إلى كفاءة وكم رأينا في غير المتخصصين في الشؤون الدينية وغيرهم في حقول الطب والإجتماع من هم أكثر كفاءة من بعضنا حتى في الحقل الفقهي. فالتحديات كثيرة، وهناك قضايا تتصل باستخدام الخطاب الديني... وهنا نسأل ما هي وظيفة المبلغ وخطابه الديني في الفقه أو التفسير أو الإخلاقيات العامة؟

هل هي نقل المعرفة وحدها فقط أو أن يقيم الحجة على الآخر؟

هل وظيفته أن يكون معلماً ومربياً وأن يعمل الناس على طبع سلوكهم على هدى الله في العقيدة والشريعة والأخلاق؟

هل وظيفته أن يوحد بين الناس، ويقرب ما بين عقولهم وقلوبهم وأن يجمعهم على حب بعضهم، وأن يخلق لهم في الفقه الإسلامي مساحة يلتقون عليها على الرغم مما يفرق بينهم من مصالح الدنيا في قضايا المادة والوجاهة والمنافسات الكبيرة أو الصغيرة، أو أن وظيفته في خطابه الديني الفقهي أو القرآني أن يضيف عاملاً جديداً من عوامل الفرقة والتمزق بأن يوصي ويعلم ويوجه فئة بعينها من الناس أنهم غير سواهم من المسلمين أو أنهم أصح إسلاماً من غيرهم...

هل وظيفة الخطاب الديني أن يوحد بين الناس؟

هل وظيفة الخطاب الديني أن يقيم صلاة الجماعة للجميع، أو أن يقيم جماعتين في مسجد واحد متعاقبتين أو متلازمتين؟ هل وظيفته أن يجمع ويوحد فيترك ما يفرق فلا يدخله في الدين،

سماحة الإمام الشيخ شمس الدين يلقي خطابه في المؤتمر الأول للتبليغ

وأن يستخدم الخطاب لما أمر الله به أن يستخدم وأن لا يستخدمه في مجال التفرقة والتجريح والتشكيك؟

هي وظيفته (الخطاب الديني) أن يغذي هذا الهوى أو ذاك أو أن ينصر هذا الفريق في الإقتصاد والسياسة والتنظيم والإجتماع أو ذاك؟ ما هي وظيفة الخطاب الديني إزاء مشكلة عصرنا التي تواجه الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع، هل تنحصر وظيفة الخطاب الديني فيما يريد أن يحصرنا به بعض الخرفيين والسلفيين وقلت بعض لأن في السلفيين عقولاً مستنيرة والسلفيون كما تعلمون موجودون في التيارين الإسلاميين الكبيرين تيار التسنن وتيار التشيع...

هل الخطاب الديني ينحصر بالتعليم الحرفي والنصوصي الذي كان يتبع منذ العهود الأولى للإسلام أو منذ كان الإجتماع الإسلامي على وضع شهده القرن الثاني وما بعده أو منذ كانت الأخطار التي كانت تواجه العالم الإسلامي تتمثل في الدولة البيزنطية أو الفارسية أو بقاياهما منذ كانت الأخطار التي تواجه العالم تتمثل في الثقافة كما أنتجها الفكر اليوناني والروماني في ذلك الحين أو ما أشبه ذلك من الفكر الهندي والإيراني...

هل الخطاب الديني ينحصر في هذا، أم أن هناك تحديات وافاقاً أخرى...؟؟

هناك تحديات تجعلنا نهتم بحقول لم تكن موجودة في ذلك الحين ولكن الله لا بد أنه رعاها في وحيه وشريعته... السؤال هو كيف نعد أنفسنا لهذه المواجهة؟ المسلمون يشاهدون قضايا (يقرأون) ديناً آخر تقوده الكنيسة المسحية الكاثوليكية أو الأرثوذكسية أو غيرها تنتجه وتسوقه وتقوده بأعلى كفاءة يمكن أن يتصورها أي عقل، تتفوق بالتأكيد على كفاءة أعلى الدول تنظيماً وتخطيطاً، أما الخطاب الديني عندنا فهو لا يتكافأ مع مهمات وقضايا ومطالب عصرنا وهو مطالب قاصر عن إبلاغ الإسلام وحمايته وافهامه على الرغم من أنه يستند إلى فكر يشهد الله إني لا أعرف أغنى منه ولا أثرى منه، ولا أعرف فكراً صدر عن روح أكثر إخلاصاً ونقاوة منها ولكنه خطاب يحتاج إلى ترجمة أو فكر يحتاج إلى ترجمان، وروح يحتاج إلى تمثل وهذا ما نفتقده وأقول من غير تواضع أنا أفتقده.. وأعود للسؤال:

هل وظيفة الخطاب والتبليغ الديني تبليغ الإسلام وتعليم المسلمين وبعد ذلك تبشير غير المسلمين بالإسلام وإدخالهم إليه؟

إن التأمل في كتاب الله ومسيرة رسول الله وفي سلوك الأرواح الطاهرة التي بلّغت هذا

الدين حتى أوصلته إلى ما لم يحلم به دعاته الأولون إني أرى أن هناك مهمة أخرى من واجبنا أن نرسخ إيمان المؤمنين وأن نربيهم على إتباع هذا الإيمان في سلوكهم.

نحن لسنا معلمين فقط، أنا مربون أيضاً، والتربية تكون كما تعلمون، وكما علمنا رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) وصحابته بالسلوك قبل أن تكون باللسان والخطاب. وإن وظيفتنا أن نبلغ هذا الدين ونربي الناس عليه أو نبشر به، لأنه نور الله وهدى الله الذي نشكره على أنه هدانا إليه، وأن ننقله إلى غيرنا، ونثير ضمائرهم به... إن وظيفتنا هي الدفاع عن هذا الدين عقيدته وشريعته وأخلاقه في وجه الإفتراءات على تنوعها واختلافها، أن نجعل هذا الدين مقبولاً حتى عند غير المؤمنين به، وأن نجعل له مساحة في قلوب الأغيار، وأن ننزع عنه الصفة التي ألصقها الإستشراق المعادي والتبشير المتجني به وهو أنه دين الرعب والإرهاب والتخلف. إننا نريد أن نخلق مناخ الإسلام في قلوب النصارى واليهود والوثنيين والملاحدة، لأن قيم الإسلام ورؤيته ومعاييره لا تنحصر فقط في هذا الإسلام الذي تعتقده نحن عليه، بل فهناك شعاع كبير من هذا الإسلام العظيم يمكن أن ينتقل إلى قلوب وعقول غير المسلمين بحيث يخفف من شر دنياهم، ويجعلهم ممن يشملهم الله برحمة منه، وأن تضيء قلوبهم وعقولهم أقباس من هدا الدين، وهذا يقتضي أن نطور رؤيتنا وفهمنا ووعينا للعلاقة مع الآخر غير المسلم، وغير بني قومنا وأن ننفتح على العالم وينطلق الإسلام باعتباره قوة روحية وثقافية تخاطب كل البشر. ولا تخاطب المسلمين وغيرهم باعتبارهم أغياراً فقط بل تخاطبهم باعتبارهم مما اصطلح عليه في بعض علم الكلام أنهم أمة مدعوون إلى هذه المائدة الإلهية التي منهم من يأكل ويستفيد من جميع خيراتها ومنهم من ينال بعض ذلك. إن هذا النوع من الخطاب يفرض علينا تغييراً لرؤية الآخر، إننا نتحدث عن العالم الكوني الذي هو الإسلام في خاص صغير محدود هو خاصتنا ونحن نتكلم عنه في لبنان بدءاً من الآخر فيه الذي هو المواطن المسيحي إلى الآخر في العالم العربي، والآخر في العالم الإسلامي أو الآخر على مساحة العالم كله.

فالإسلام أكبر من أن يكون دولة، وهو بالتأكيد أكبر من أن يكون حزباً أو تنظيماً، أو تياراً أو جمعية أو جماعة، هذا الإسلام الكبير حجمه حجم محمد الذي قبل الجميع حيث مدحه الله بأنه على خلق عظيم لأنه قبل العالم، فلا نجعل منه مشيئاً صغيراً نقيسه بأحجامنا الشخصية أو المؤسساتية.

من مهمات هذا المؤتمر والمؤتمرات التالية له أن يكتشف هذا البعد، وأقول أخرجوا الإسلام

من غربته يا علماء الدين، فقد درجنا على تفسير غربة الإسلام على أنها غربة بين المسلمين. وهنا أسأل: لماذا لا يكون معنى غربة الإسلام أن الله أراده أن يكون متوطناً في كل قلب؟

إن الجواب على هذا السؤال أرى أن سلوك المسلمين وعلمائهم بالذات هو الذي جعله غريباً ومنغلقاً على الآخرين، وإذا كان الحكام والمتسلطون قد وظفوا الدين من أجل الدنيا، وجعلوه غريباً بين المسلمين، فعلى الدعاة إلى الله أن لا يجعلوه غريباً في العالم، وهذا لا يكون إلا بتطوير نظرتنا إلى الآخر بأن نعترف به كما هو لا على شروطنا الخاصة، وأن ندمج نحن بالبناء الوطني الذي يجمعنا جميعاً أو في البناء القومي والأممي الذي جعله الله متسعاً للناس جميعاً، بهذا فقط نحرج الإسلام من أن يكون موضوعاً لسوء الفهم عند حسني النية فتروج عليهم إتهامات سيئي النية له بأنه يقف في وجه الحضارة والتقدم والإنسانية، بهذا نستطيع أن نجعل الإسلام قوة فاعلة في العالم عند غير المسلمين قبل المسلمين، ونرى أن لكل إنسان أن يأخذ من هذا الهدى ما يقبض الله له أن يأخذ منه. وهذه نقطة أتمنى أرجو أن تكون مورد بحث وتأمل ولا شك أنها مورد للبحث والتأصيل الفقهي، كما أنها مورد بحث للتأصيل المنهجي والبرامجي لها لتطوير الخطاب الديني بحيث يوجه إلى غير المسلمين لا بلغة التبشير في حدود ما نشأت وتربت وتعلمت. وأقول هذا الكلام لأني لم أر أفضل ولا أعظم من خطاب الله تعالى في القرآن، من نهج الدعوة الذي رسمه القرآن ودعا إليه، وما علينا إلا العودة إليه لإستلهام روحه قبل أن نستكمل شكله، وأن نجعل أنفسنا في سياقه فيما لو كنا نريد الإمتثال لأوامر ونواهي ربنا عز وجل. ولا يخفى أن هنالك أموراً كثيرة لا يتسع لها هذا المقام، مثل موضوع الثقافة والحضارة باعتبار أننا نواجه غزواً ثقافياً هو في الحقيقة وباء يأخذ بأقطارنا من كل جانب ويفترسنا جميعاً، ولا نكاد نتحصن منه بأي حصن أو حالة دفاعية، لأننا متفرقون وغرباء عن أنفسنا. فأول ما يجب علينا فعله والقيام به والمبادرة إليه هو تصوير خطابنا ومنهجيتنا، وثقافتنا الخاصة التي نواجه بها الناس، ونعالج بها شؤونهم. هذه المهمات وغيرها منقاة على عاتق هذا المؤتمر، والمحاضرات التي اقترحت على السادة العلماء والمشاركين فيه والتعقيبات التي سيتولاها المعقبون على هذه المحاضرات أمل أن تلبي حل هذه المشاكل وعلى أي حال ستكون لهذا المؤتمر مؤتمرات تالية تتابع أعماله والتحديات والأسئلة التي يطرحها علينا العمل التبليغي في لبنان وخارجه. أسأل الله التوفيق لنا جميعاً والحمد لله رب العالمين.

ـ لقطات من المؤتمر الأول للتبليغ